مجـــلة عصـــور المجلد 19/ العدد الثاني ديسمبر2020
EISSN 6278-2600 / ISSN 1112- 4237 الإيداع القانوني 2002- 464 Depot légal

ظاهرة الانحراف من خلال كتاب "المغرب في حلى المغرب لابن سعيد المغربي ت 685 هـ/ 1286 م

The phenomenon of delinuecy through the book « al- maghrib fi hula al-maghrib by lbn said al-maghribi dead during a year

*د. مليكة عـــدالة
باحثة/ جامعة أحمد بن بلة، وهران1/ الجزائر
addala.malika@gmail.com

تاريخ الإرسال: 202/01/30 تاريخ المراجعة: 2020/02/15 تاريخ القبول: 2020/03/21

الملخص:

إنّ البحث عن ظاهرة الانحرافات الاجتماعية من المواضيع التي تثير اهتمام الكثير من الباحثين خاصة وأن هذه الظاهرة أخذت منعرجا خطيرا في تاريخ المجتمعات الإسلامية وكتاب المؤرخ الرحالة الجغرافي ابن سعيد المغربي المتوفى عام (ت685هـ/1286م) المسمّى "المغرب في حلى المغرب" يقدم مادة علمية ثرية عن مختلف الانحرافات الاجتماعية التي شهدها المجتمع الأندلسي، من تفشي لمظاهر الخلاعة والمجون ومعاقرة الخمور، كما أن رواياته قيمة عن انتشار سلوكات شاذة وخطيرة ألقت بثقلها على المجتمع كعشق الغلمان وممارسة الزنا والدعارة واللواط، إضافة إلى الخيانة الزوجية وغيرها من الانحرافات التي أدت في الكثير من الأحيان إلى وقوع الجرائم.

الكلمات المفتاحية

الانحرافات؛ اللواط؛ الزنا؛ معاقرة الخمور؛ مجالس اللهو؛ الدعارة؛ الخيانة الزوجية.

* د. مليكة عدالة، باحثة جامعة أحمد بن بلة/ هران1 / الجزائر.

Abstract

Topics of delinquency has been of agreatinterest by a lot of researchers and scientists, especiallybecauseit has taken a serious divergence in the history of Islamicsocieties.

The book of the geographicalnomadic and journey man Ibn Said El Maghrebi(whodied in 685) "El Maghreb Fi Houla El Maghreb " represents a precious and a useful aspect about the different social delinquencies in Andalusian society. It reveals the spread of unethical practices such as dissipation , prostitution, and inebriation. Besides, hisnovelswereworthful and expose the spread of unethicalodd behaviorsthatfrustratedtheir society. For instance, child molestation or paedophilia, sodomy, whoring and prostitution. In addition to marital infidelity or adultery and many other sleazybehaviorsthatusually lead to occurrence of crimes.

Key words : Delinquencies ; sodomy ; prostitution ; inebriation-whoring ; dissipation; molestation; marital infidelity ; adultery.

مقدمة

لقد عرف المجتمع الأندلسي كغيره من المجتمعات في مختلف العصور التاريخية انتشار ظاهرة الانحراف، والتي تعددت مظاهرها بتعدد السلوكات الاجتماعية لأفراد المجتمع، والحديث هنا عن هذه الظاهرة يقودنا إلى البحث عن السلوكات الاجتماعية التي أدت بالكثيرين إلى البحث عن وسائل التسلية والمتعة ترويحا عن النفس، فكانت مجالس الخمر المكان المناسب للترويح وممارسة الرذيلة.

ولقد عددت الكثير من المصادر التاريخية خاصة منها كتب التراجم ظاهرة الانحرافات الاجتماعية، منها كتاب"المغرب في حلى المغرب" لابن سعيد المغربي (ت685هـ/1286م) الذي شخّص الكثير من الانحرافات التي وقع فيها عناصر من المجتمع، معتمدا في ذلك على مشاهداته والروايات الشفوية والمصادر التي سبقته، فقدّمت نصوص كتابه إشارات قيّمة حول تفشي ظواهر اجتماعية خطيرة.

1-التعريف بمؤلف الكتاب:

ابن سعيد المغربي هو علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن ابن عثمان بن عبد الله بن سعد بن عمار بن ياسر، من ذرية عمار بن ياسر الصحابي الجليل رضي الله عنه[1] ابن كنانة بن قيس بن الحصين العنسي المذلجي، من أهل قلعة يحصب الغرناطي القلعي.

ولد بقلعة يحصب بغرناطة ليلة عيد الفطر، سنة610 هـ/ 1213 م نشأ و اشتهر بها، درس ابن سعيد عن أعلام اشبيلية،وقام برحلة طويلة، جال فيها معظم الأقطار العربية، مما جعل بعض المصادر التاريخية تصفه بالرحالة العجيب، فيقول عنه ابن الخطيب :" المصنف الأديب، الرحال، الطرفة، الإخباري العجيب الشأن في التجول في الأوطان، ومداخله الأعيان و التمتع بالخزائن العلمية، و تقييد الفوائد المشرقية و المغربية"[1]. أما السيوطي يقول:" جاب في المشرق و جاب في المغرب"[2].

ألف ابن سعيد كتبا كثيرة منها كتاب المغرب في حلى المغرب الذي ضاعت أجزاء كثيرة منه، احتفظ المقري ببعض منها، والكتاب يصنف من الكتب التاريخية والأدبية وحتى الجغرافية لأنه يضم نصوص تتعلف بمختلف الجوانب السياسية والثقافية والاجتماعية والحضارية للأندلس من الفتح الإسلامي لغاية عصر الموحدين وهو عصر المؤلف.

وكون المؤلف جال مختلف أقطار الأندلس واعتمد في كتابه على مصادر مكتوبة وشفوية فإنه دون الكثير من المعلومات المتعلقة بالوسائل الترفيهية التي كان مارسها إنسان الأندلس للتسلية والترفيه عن النفس، والتي مالت في الكثير من الأحيان إلى ممارسات وسلوكات اجتماعية منحرفة،انعكست آثارها على المجتمع ، فجاء الكتاب بنصوص ثرية عن ظاهرة الانحرافات الاجتماعية في الأندلس، وبالتالي ما هي أهم هذه الانحرافات التي أشار إليها المؤرخ ابن سعيد في مغربه.

1 - ابن الخطيب، لسان الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد السلماني، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الرابع تحقيق يوسف علي طويل ، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 2003، ص129

2 - السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ت) ج2 ص 209 .

2-أهم الانحرافات الواردة في الكتاب

يعد كتاب المغرب في حلى المغرب من جملة الكتب التي كشفت عن كثير من قضايا المجتمع الأندلسي. فقد استطاع إماطة اللثام عن بعض الانحرافات و السلوكات الاجتماعية الشاذة التي شاهدها المؤرخ ابن سعيد أثناء رحلته إلى بعض المدن الأندلسية للتعرف على ما أنتجته قريحة أدباء عصره في الأدب والشعر ، ومن تمّ دوّن ما كان يحدث في تلك المجالس من سلوكات منها:

1.2-**مجالس الخمر**

حرمت الشريعة الإسلامية شرب الخمر لما فيه من ضرر للصحة ويذهب العقل لقوله تعالى" إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون"[1] فالخمر أم الكبائر والخبائث، وجماع الإثم وكاسفة شمس العقل، والبلاغة على كل قبيح من الفعل، والفاتحة كل مرتج من أبواب العصيان، وهي رجس من عمل الشيطان.[2]

لقد عرف المجتمع الأندلسي انتشار مظاهر الإقبال على الملذات لإشباع الحواس، فانتشرت بذلك مجالس الخمور والحانات والإقبال على الشهوات والاستمتاع بالغناء واللهو والرقص والغناء و ما صاحبها من خلاعة ومجون .

والملاحظ من خلال كتاب" المغرب في حلى المغرب" أن ظاهرة شرب الخمر انتشرت انتشارا بالغا في عصر ابن سعيد، إذ ينبهنا إلى أنّ شرب الخمر كان متداولا في أوساط المجتمع بأنواعه المختلفة،كالخمر الأحمر والأسود[3]، بل و كان يقدم للضيوف أحيانا[4]

1-سورة المائدة، الآية 90

2- رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، مجموعة ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى،2010، ص133.

3.ابن سعيد الأندلسي، أبو الحسن علي بن موسى(ت 685هـ/1286م)، المغرب في حلى المغرب، وضع حواشيه خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى،1997 ج2، ص140

4.المصدر نفسه، ص140

بسبب انتشار زراعة الكروم أو العنب والتي هي أصل الخمور[1]، وينبغي التنبيه إلى أن البيئة الجميلة للأندلس ساعدت شعرائها على الحديث عن الخمر في أحضان طبيعتها الخلابة. وكتاب المغرب يقدم فيضا من الأبيات الشعرية[2] لشعراء لا يحلو لهم الحديث عن الخمر أو تناوله إلاّ في أحضان الطبيعة أو على ضفاف الأنهار،حتى مالت الكثير من أشعارهم إلى المجون أحيانا والى مغازلة الغلمان أحيانا أخرى.

كما كان له في جلسات اللهو والسمر التي كانت تقام في منتزهات اشبيلية أشعار كثيرة[3] ولم تكن مجالس الخمر لتخلو من الندماء والغلمان[4]؛ وحتى شوارع المدن لم تكن لتخلو من تحرك السكارى بسكرهم، فيشير مؤرخنا إلى مدينة اشبيلية التي كان شراب الخمر فيها مباحا[5]، فالكتاب يشير إلى احتدام موجة اللهو والمجون وما والاها من شرب الخمر في الأندلس ، وبات بديهيا أن تنتشر مجالس الشرب اللهو والحانات في العديد من المدن خاصة مدينة مالقة التي اشتهرت بجودة خمرها[6]، وحتى مقابر هذه المدينة لم تسلم من نشاط المدمنين الذين جعلوها مكانا مناسبا للممارسة نشاطهم[7].

وبذلك نستنتج أن عادة شرب الخمر كانت منتشرة في أوساط المجتمع، وأصبح العديد منهم مدمنين عليها، يجتمعون على مجالسها حتى في الشوارع لطرد الهموم التي

1- ابن زهر، أبو مروان عبد الملك(ت 557 هـ/1161م)، التيسير في المداواة والعلاج، تحقيق محمد بن عبد الله الروداني، مطبعة فضالة ، المحمدية،1991، ص44.

2- ابن سعيد،المصدر السابق، ج1، ص181،117،91/ج2، ص103،306

9-ابن سعيد،المصدر السابق، ج1، ص351/ المقري،أحمد بن محمد التلمساني(ت 1041هـ/1631م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، طبعة 1997 ج2، ص316،284

10-ابن سعيد،المصدر السابق، ج2، ص172

5- الشقندي، نقلا عن المقري، المصدر السابق، ج3، ص212.

6-ابن سعيد، المصدر السابق، ج1، ص349

13-ابن عبدون ابن عبدون محمد بن احمد(527هـ/1133م)، رسالة في القضاء والحسبة، تحقيق فاطمة الإدريسي،تقديم مصطفى الصمدي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى،2009، ص74.

اعترضت حياتهم اليومية[1]، دون أن ينكر عليهم أحد ذلك. فهذا أبو العباس أحمد بن أحمد البرشاني يصرح في شعره أنه كان يشرب الخمرة لأنها كانت تشفي آلامه.[2]

وقد ضمت مجالس الأنس والخمر القيان من راقصات وندماء ومغنيين،فالندماء يقصون النوادر الأدبية ويروون الأشعار[3]،أما الغلمان فقد أضفوا على مجالس الشرب حللا من اللهو فتداول فيها الخمارون شعر المجون وسط الغلمان والفتيان، فالبعض يغني والآخر يسقي شرابا[4].

ولم يجد أحد الشعراء أدنى حرج من المجاهرة بشرب الخمر،وفي هذا السياق يشير" ابن سعيد" إلى أبي الحسن رضيّ بن رضا المالقي[5] الذي كان منهمكا في شرب الخمر حتى أنه لا يكاد يصحو منها[6]، وأعلن عن مذهبه في شرب الخمر وهو مذهب بلغ حدا عاليا من الإسراف، هذا وتطلبت جلسات الخمر اختيار النديم والساقي وحتى الراقصات،فالوشاح أبو الحجاج يوسف بن عتبة الاشبيلي (ت636هـ/1240م)كان يشرب مع ندمائه تحت قصب فارسي[7].

كما أنّ مجالس الخمر لم تكن تخلو من مظاهر العبث والمجون وحتى من العواهر إذ يشير ابن سعيد في إحدى نصوصه إلى الكاتب أبو جعفر أحمد بن طلحة الذي رصد في شهر رمضان وهو يشرب الخمر وعنده عواهر.[8] فهذا النص يبين انتهاك حرمة الشهر الفضيل من طرف المدمنين على الخمر، حتى أنّ المؤرخ يشير في أحد تراجمه إلى أبو

14 -رقية بن خيرة، معاقرة الخمور في المجتمع الأندلسي بين التنظير الشرعي والواقع التاريخي خلال عصري الطوائف والمرابطين، المواقف، مجلة الدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ، العدد11، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة معسكر،2016، ص145

15 -ابن سعيد،المصدر السابق، ج2،ص83

16 --عصام الدين عبد الرؤوف الفقى، تاريخ الفكر الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، طبعة 2001، ص170

17 -علي الغريب محمد الشناوي، الخمريات في الأدب الأندلسي، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، 2010.ص9

18 -لم أقف على ترجمة وافية له غير أن ابن سعيد يذكر بأنه عاصر فترة الحاكم الناصر لدين الله أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن عبد المؤمن (595-610هـ/1198-1213م، ابن سعيد، المصدر السابق، ج1، ص351

6 -المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

7.نفسه، ج1، ص190

8 -نفسه،ج2،ص295

عيسى لب بن عبد الودود الذي كان يشرب الخمر، وكان يهوى غلاما وقيل أنه تزوج عاهرا وكان الناس يلومونه على ذلك.[1]

و يمكن القول بأنّ المحاولات التي قام بها بعض الحكام لاستئصال هذه الآفة من المجتمع،لم تجد نفعا أمام انتشارها البالغ وسط كل الشرائح الاجتماعية، وفي كل الأماكن حتى في الشوارع وعلى ضفاف الأودية وهو ما وضحه"الشقندي" في رسالته عندما قال:" وشرب الخمر في وادي اشبيلية غير منكر ولا ناه عن ذلك ولا منتقد ما لم يؤد السكر إلى شر وعربدة"[2].

ووسط هذه البيئة التي كثرت فيها الخلاعة والمجون ومجالس اللهو، انتشرت ظاهرة أخرى في مجالس الشرب وهي الولوع بالغلمان وعشقهم. والملاحظ أنّ ما سجله ابن سعيد في مغربه ما في حقيقة الأمر إلاّ إفصاح عن طبائع المجتمع وشهواتهم الحبيسة ونفسيتهم المائلة إلى اللهو والمجون وهو ما يبين انتشار الفضائع الغلمانية وبالتالي تسرب ظاهرة اللواط.

2.2-ظاهرة الميل الغلماني

لقد شاعت ظاهرة الولوع بالغلمان والتغزل بهم وحتى عشقهم في الأندلس، وقد أطلق لفظ غلام على الخدم الذكور الذين يمارسون مهام سقي الشراب للزبائن في الحانات،وهو ما وضحه لنا المؤرخ "ابن سعيد"في العديد من تراجمه،التي كرست هذا الواقع اللاأخلاقي، وانعكست سلبا على عادات وأخلاق المجتمع،فكانت مجالس اللهو والغناء حافلة بالغلمان يتغزلون بهم، فالبعض يغني والآخر يسقي شرابا، أمّا الخمارون فكانوا يختلسون الفرصة في الحانات حينما يسطو النوم بالحضور فيثب إلى الساقي لثما وتقبيلا وعناقا[3].

1 -نفسه، ص306

2 -الشقندي، نقلا عن المقري،المصدر السابق، ج3، ص212.

1 - راوية عبد الحميد شافع،المرأة في المجتمع الأندلسي من الفتح الإسلامي للأندلس حتى سقوط قرطبة (92-422هـ/711-1031م)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، الطبعة الأولى،2006.، ص123

ولكن من الصعب توضيح الأسباب الحقيقة لانتشار هذه الظاهرة الخطيرة وسط العامة والتي يمكن ترجيحها إلى عوامل نفسية واجتماعية وظروفهم المعيشية الصعبة التي جعلتهم يقبلون على الرذيلة لكسب المال من أجل العيش، ممّا جعل الكثير من أصحاب المال يقتنون الغلمان ليتآنسوا بهم بحثا عن وسائل جديدة للمتعة وإشباع الملذات، فتمتعوا بهم كما تمتعوا بالجواري،حتى أن العديد من الرجال كانوا يعشقونهم ويتغزلون بهم وحتى رثائهم[1]، وقد يكون الحرمان الجنسي[2]، أيضا أحد الأسباب التي أدت إلى انتشار ظاهرة اقتناء الغلمان التي سادت في المجتمع الأندلسي عبر عصور مختلفة.

وقد ترددت عادة الميل إلى الغلمان وعشقهم من طرف الشعراء خاصة، والجدير بالذكر أنّ انتشار هذه الظاهرة سجلها المؤرخ "ابن سعيد" في مجالس الأدباء؛ والذين عبروا فيها عما كانوا يحسون به اتجاه هؤلاء الغلمان،فأبو علي عمر بن محمد الشلوبيني،كان يهوى غلاما ويتغزل فيه[3]،وأشار إلى أبي عيسى لب بن عبد الودود[4] الذي كان يشرب ودخل عليه غلام كان يهواه[5].

واختلفت درجة الميولة للغلمان من شخص للآخر،فمنهم من ولع بغلام صقيل الخدّ، يكثر التغزّل فيه ومن هؤلاء أبو جعفر أحمد بن قادم القرطبي[6]، الذي كان يكثر من ذكر الغلمان والجواري ويهوى مجالسة الندماء[7]، وتباهى آخر بعشقه ومعاشرته لغلام،كأبي جعفر أحمد بن يحي[8] (ت 610هـ/1213م) الذي كان يعشق غلاما[9]،بينما كان

2- ابن سعيد، رايات المبرزين وغايات المميزين، تحقيق محمد رضوان الداية، دار طلاس للدراسات والترجمة، دمشق، الطبعة الأولى،1987، ص71

2. رقية بن خيرة، المرجع السابق، ص146

3- ابن سعيد،المصدر السابق ج2، ص103

28- لم أقف على ترجمته

5- ابن سعيد،المصدر نفسه، ص306

1- كان آية في الشعر والتوشيح وأولع الناس بالغلمان، لم يذكر ابن سعيد تاريخ وفاته ولكنه صرح بأنه" اجتمع به عمه يحي" المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

7- نفسه، ج1، ص91

3- كان أحمد بن يحي خطيب جامع قرطبة، اشتهر بالظرف واللطافة، توفي سنة 610هـ/1213م، نفسه، ص117.

9- ابن سعيد،المصدر السابق، الصفحة نفسها.

أبو بكر محمد بن طلحة[1] لطيفا كثير الحب للغلمان والتغزل فيهم[2]،أما أبو جعفر أحمد بن عبد الولي البني فإنه كان أليف الغلمان.[3]

وما يلاحظ من خلال الكتاب تغلغل ظاهرة الميل الغلماني في أوساط العامة والخاصة حتى اشتهر بها وزراء وكتاب وشعراء بل وفقهاء وكتاب المغرب وحده يكفي لإقناعنا بانتشار هذه الظاهرة التي يبدو أنها انحراف في اللذة وتنويع لها أكثر مما هي مجرد تنفيس عن شهوة حبيسة.

ولو عددنا الشواهد الكثيرة على انتشارها في الأندلس لتجاوزنا الحد المرسوم لهذه المقالة، وبالرجوع إلى كتاب"المغرب في حلى المغرب" فإنه تظهر لنا صورة كاملة ودقيقة عن هذه الظاهرة المتفشية في المجتمع الأندلسي.

3-سلوكات اجتماعية شاذة

إن ظاهرة التغزل وعشق الغلمان خاصة في مجالس الخمر، وما صحبها من لهو ومجون أدت إلى انتشار عادات اجتماعية أخرى وسلوكات شاذة وخطيرة ألقت بثقلها على المجتمع وهي ظاهرة الشذوذ الجنسي، فقد كان عدد من عناصر المجتمع يبحثون عن مغريات الحياة ويتبعون الهوى فتراهم يبحثون عن ممارسات جنسية شاذة منها:

3-1-اللواط

اعتبر اللواط أحد أهم وسائل المتعة التي انتشرت بانتشار المخنثين أو القطماء[4]، على حد تعبير العوام "عازب ومتفنّق ثلثي قطيم ويفتى فيه"[5] وقد أدّت هذه الظاهرة إلى تسرب آفة على المجتمع ألا وهي "اللواط" .

---

34 - يقول ابن سعيد:كان مصدرا للقراء بإشبيلية، لم يذكر تاريخ وفاته وذكر أنه اجتمع به والده، نفسه، ص186

2 -نفسه، الصفحة نفسها.

3 -نفسه، ج2، ص289

1 -الزجالي، أبو يحي عبيد الله بن أحمد الزجالي القرطبي، (ت694هـ/1295م)، أمثال العوام في الأندلس مستخرجة من كتابه ري الأوام ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام، تحقيق محمد بن شريفة، منشورات وزارة الثقافة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، (د.ت) ج2، مثل رقم 1664، ص379/ سامية مصطفى مسعد، صور من المجتمع الأندلسي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، (د.ط)2009، ص160 -**161**.

2 - الزجالي، المصدر السابق، ج2، ص379.

لقد أفضى وجود المخنثين في المجتمع إلى بروز آفة اللواط؛ إذ ينوه "ابن سعيد" إلى انتشار هذه الظاهرة في كتابه الذي جاد بنصوص توضح تجليات انتشارها في الأندلس، خاصة في درب ابن زيدون بقرطبة الذي اشتهر بكثرة القطماء، إذ وُجد رجل مشهور يمارس اللواط، و كان يبحث عن كل وسائل المتعة لتحقيق رغبته الجنسية، مستغلا في ذلك حتى اللصوص الذين يدخلون إلى منزله بقوله: "كان في قرطبة رجل مشهور بهذا الشأن ينام في أسطوان داره، ويترك القفل على الباب حتى يتمكن فتحه، فإذا رآه سارق على تلك الحال عالج الباب ودخل،فيمسكه القطيم، و كان له عبدان يريحهما بهذا الشأن،فيقول للسارق:أيها الملعون جسرت على بابي وفتحته وأردت الدخول على حرمي،ما بقي لك إلّا أن .....والله وتالله لا زلت حتى تفعل،فتتم لك النادرة فيّ، ثم ينبطح فيرى السارق أنه يفعل ذلك لئلا يفتضح،ثم يطلقه"[1].

ونستنج أن ظاهرة اللواط انتشرت بين أوساط العامة، و لم يسلم من هذا الفعل الشنيع حتى اللصوص، الذين أجبروا على فعل ذلك بالقوة، وإلاّ تهديدهم بالفضيحة، إذ كانت تمارس هذه الرذيلة في المنازل والتي اعتبرت المكان المناسب للقطماء، وهنا يقدم لنا "ابن سعيد" نصا آخرا في غاية الأهمية عن الثمن الذي دفعه أحد الرجال إلى غلام كان أدباء اشبيلية قد فتنوا به بقوله:" كان مروره –أي أحد الأدباء[2] - على داره –أي دار الغلام-وحكى عنه أنه أعطاه في زيارة خمسين دينارا، ومرت أيام ثم صادفه عند داره، فقال له:أتريد أن أزورك ثانية؟ فقال له: لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، وهذا الجواب على ما فيه من قلة الأدب وهتك حجاب الشريعة، من أشد الأجوبة إصابة للغرض"[3]، وهذا ما يثبت انتشار ظاهرة اللواط في المجتمع الأندلسي، والخطير في الأمر أنه حتى بيوت الله لم تسلم من هذه الآفة أين كان القطماء يمارسون شهوتهم في صومعة

1 - ابن سعيد، المصدر السابق، ج1، ص118

2.-يتعلق الأمر بالأديب أبو بكر عبد الله بن عبد العزيز بن صاحب الرد، من أدباء اشبيلية وبيته مشهور هناك، توفي سنة 631هـ/1233م، ابن سعيد، اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية، 1980.ص112.

3.-نفسه، المصدر السابق، ص112/ المقري، المصدر السابق، ج3، ص306

المساجد، وورد ذلك في الخطاب الشعبي عندما قالت العامة: "أوسع من شكارة حبلص الذي كان يطلّع فيها المرد للصّمع"[1].

ومما سبق يبدو أنّ بعض عناصر المجتمع أرادت تحقيق رغبتهم الجنسية بأي وسيلة كانت وإخراج المكبوتات،لأنه "بانبساط النفس تميل الأخلاط إلى الخارج"[2]دون مراعاة قيم الشريعة الإسلامية.

3-2-الدعارة

انتشرت آفة اجتماعية خطيرة في المجتمع وهي الزنا والتي صارت إحدى أكبر المشاكل التي ألقت بثقلها عليه، وقد نبه ابن سعيد إلى ذلك معبرا عنها بأسلوب آخر وهي ظاهرة الدعارة ،والتي اعتبرت مسربا آخر من مسارب الزنا ،حتى أن المؤرخ ابن الأبار أشار إلى وجود هذه الظاهرة في إحدى تراجمه ويتعلق الأمر بعبد الله بن عبد الحق الأنصاري(توفي سنة 589هـ/1193م)، تولي قضاء الجماعة باشبيلية وكانت له بالدعار سطوات مرهوبة [3]، وهذا ما يبين حقيقة انتشار الدعارة في الأندلس .

وغني عن البيان أن ظاهرة الدعارة تقودنا إلى الحديث عن ظاهرة أخرى نبهنا إلى وجودها المؤرخ ابن سعيد وهي ظاهرة القوادة وهي التوسط بين الرجال والنساء تشجيعا منهم للدعارة، والغريب في الأمر أنّ هذه الظاهرة قد مارستها إحدى العجائز حتى أطلق عليها اسم "العجوز القوادة"[4]، وقد صور لنا الزجالي في أمثاله انتشار الدعارة والقوادين في مجتمعات الغرب الإسلامي[5]،عندما فضلت بعض النساء بيع أعراضهن وأجسادهن وممارسة الدعارة والبغاء لتحصيل المال[6]،حينما تتعذر سبل العيش وتتفاقم حالات

42 - الزجالي، المصدرالسابق، مثل رقم 519 ص117.

2 -ابن زهر، المصدر السابق، ص212

44 - ابن الأبار، أبوعبد الله محمد القضاعي البلنسي، التكملة لكتاب الصلة تحقيق عبد السلام الهراس، دار المعرفة، الدار البيضاء، (د.ت) ج2، ص305 (ترجمة رقم 881).

45 - ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج1، 1180

1 - الزجالي، المصدر السابق، ج2، ص16-32.

2 - استيتو محمد، الفقر والفقراء في مغرب القرنين 16 -17م، مؤسسة النخلة للكتاب، وجدة، الطبعة الأولى،2004، ص231/ عمر رضا كحالة، الزنا ومكافحته، مؤسسة الرسالة (د.ت) ص9-10/ بن خيرة رقية، الآفات الاجتماعية في

الفقر والحاجة، فضلا عما قيل عن مدينة برشانة بأنها:"للمجون بها سوق،وللفسوق ألف سوق"[1]. ولهذا فإن بعض النسوة،كن يتجهن إلى ممارسة الدعارة والبغاء كسبيل لتجاوز الواقع الاجتماعي.

ومن الأمثلة الدالة على انتشار الظاهرة المشار إليها، هي الحالة التي وقعت فيها إحدى العاهرات عندما استدرجت عشيقها واستقبلته في بيتها بحثا عن الاختلاء للمتعة [2] . فمثل هذه الظواهر الاجتماعية تدل على وجود علاقات شاذة ونادرة لم يقع فيها إلاّ ذووا الأهواء والشهوات. وربما يكون الاختلال الذي أصاب الحياة العامة وعلاقات الناس ببعضهم البعض هو ما خلق بيئة قلقة قاسية أدت بالكثيرين إلى الهروب من الحياة القاسية والميل إلى حياة اللذة.

3.3-الخيانة الزوجية.

لم يخلُ مجتمع الرحالة "ابن سعيد" من ظاهرة الخيانة الزوجية والتي رسخت في الذاكرة الشعبية؛ حينما يدرك الزوج زوجته وهي متلبسة بجريمة الخيانة الزوجية وقد عبرت العامة عن ذلك بقولها"بين ذا وذا،وزوجها قد جا" [3]، والتي عادة ما تنتهي هذه العلاقة المنحرفة الممثلة في الخيانة الزوجية إلى جريمة القتل وهو ما حدث فعلا في المجتمع الأندلسي،عندما اقبل احد شعراء الخليفة الناصر لدين الله الاموي وهو الحسن بن حسّان السناط على قتل نفسه غيظا لأنه وجد امرأته مع رجل. [4]

هكذا كان المجتمع العامي،يبحث عن وسائل المتعة بين ما هو مباح ومحرم،فابتدع بذلك وسائل ترويحية بنفسه لتحقيق رغباته،فلا همّ له إلا كأس خمر

الأندلس ما بين القرنيين الخامس والسادس الهجريين(ق11-12م) -دراسة في ظاهرة الانحراف- رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة معسكر،2016-2017.،ص167

3- ابن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، دراسة وترجمة محمد كمال شبانة، نشر المعهد الجامعي للبحث العلمي، المغرب،1977، ص106.

2-ابن سعيد، المصدر السابق، ج2، ص285

3- الزجالي،المصدر السابق، ص124

4-ابن سعيد،المصدر نفسه،ج2،ص31

يشربها،أو غريزة يشبعها أو اتخاذ غلام يتآنس به،فانعكست بذلك على عادات وأخلاق المجتمع وأدت إلى فساده.

خاتمة:

وبفضل ما تجمع لدينا من مادة تاريخية واستعراضنا لبعض الانحرافات الاجتماعية التي انتشرت بالأندلس يمكن الخروج بالنتائج التالية:.

1- عرف المجتمع الأندلسي ظواهر اجتماعية نفسية، وجدت لها التربة الخصبة في فترات تاريخية متتالية من الحكم الإسلامي في الأندلس خاصة في عصر الطوائف والذي أعقبه عصر المرابطين ثم الموحدين، إلى ظهور انحرافات اجتماعية خطيرة عالجها ابن سعيد في كتابه "المغرب في حلى المغرب"

3- ابتدع إنسان الأندلس وسائل للترفيه عن النفس فنجده يمارس سلوكات شاذة يريد من خلالها تحقيق لهو ولذة ويخرج شهوة حبيسة فمالت سلوكاته إلى المناكر والمفاسد من دون مراعاة قيم الشريعة الإسلامية.

2-أمكن رصد فئة من عناصر المكونة للمجتمع الأندلسي عاجزة عن مواجهة واقعها الاجتماعي، فمارسوا سلوكات لا أخلاقية كمعاقرة الخمر وممارسة اللواط والدعارة وعشق الغلمان والتغزل بهم والهروب إلى حياة اللهو واللذات كشكل من أشكال الرضوخ أو التجاوز للأوضاع السائدة.

قائمة المصادر والمراجع:

1-ابن الأبار، أبو عبد الله محمد القضاعي البلنسي(ت 65هـ/1260م)، التكملة لكتاب الصلة تحقيق عبد السلام الهراس، دار المعرفة، الدار البيضاء، (د.ت).

2-ابن الخطيب لسان الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد السلماني، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الرابع تحقيق يوسف علي طويل ، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 2003.

3-ابن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، دراسة وترجمة محمد كمال شبانة، نشر المعهد الجامعي للبحث العلمي، المغرب،1977،

4- رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، مجموعة ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى،2010 .

5-ابن زهر أبو مروان عبد الملك(ت 557 هـ/1161م)، التيسيرفي المداواة والعلاج، تحقيق محمد بن عبد الله الروداني، مطبعة فضالة ، المحمدية،1991

6- الزجالي، أبو يحي عبيد الله بن أحمد الزجالي القرطبي، (ت694هـ/1295م)، أمثال العوام في الأندلس مستخرجة من كتابه ري الأوام ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام، تحقيق محمد بن شريفة، منشورات وزارة الثقافة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، (د.ت)

7- السيوطي،جلال الدين عبد الرحمن، بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ت)،ج2

8- ابن سعيد الأندلسي، أبو الحسن علي بن موسى(ت 685هـ/1286م)، المغرب في حلى المغرب، وضع حواشيه خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى،1997

9-ابن سعيد، رايات المبرزين وغايات المميزين، تحقيق محمد رضوان الداية، دار طلاس للدراسات والترجمة، دمشق، الطبعة الأولى،1987.

10- اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية، 1980

11- ابن عبدون ابن عبدون محمد بن احمد(527هـ/1133م)، رسالة في القضاء والحسبة، تحقيق فاطمة الإدريسي،تقديم مصطفى الصمدي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى،2009،

12-المقري،أحمد بن محمد التلمساني(ت 1041هـ/1631م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، طبعة 1997

13- استيتو محمد، الفقر والفقراء في مغرب القرنين 16-17م، مؤسسة النخلة للكتاب، وجدة، الطبعة الأولى،2004، ص231/ عمر رضا كحالة، الزنا ومكافحته، مؤسسة الرسالة (د.ت)

14-الشناوي علي الغريب محمد ، الخمريات في الأدب الأندلسي، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، 2010.

15- شافع اوية عبد الحميد ،المرأة في المجتمع الأندلسي من الفتح الإسلامي للأندلس حتى سقوط قرطبة (92-422هـ/711-1031م)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، الطبعة الأولى،2006

16- الفقي عصام الدين عبد الرؤوف، تاريخ الفكر الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، طبعة 2001،

17- بن خيرة رقية، الآفات الاجتماعية في الأندلس ما بين القرنيين الخامس والسادس الهجريين(ق11-12م)-دراسة في ظاهرة الانحراف- رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة معسكر، 2016-2017.

18- بن خيرة رقية، معاقرة الخمور في المجتمع الأندلسي بين التنظير الشرعي والواقع التاريخي خلال عصري الطوائف والمرابطين، المواقف، مجلة الدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ، العدد11، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة معسكر،2016